

## غريبات .. والهوت واحد مراد السوداني

منحدرًا من قوة الأشباه وتماسك الطبائع، جاء غريب الزي واللغة في أرض غريبة تدعى الحياة، فأنكره البعض وصدقه آخرون . . ولأن هذه البلاد بها «شبه الجنون»، «فقد انقرض المكان وتوحش وطاردته المساحة» كما قال الغريب، حينها اقتربنا منه نحن أبناء الجبال، مشاة الطرق الوعرة ذوو النبرة الخشينة . . فالتفت إلينا: صداقة، حواراً وسهراً حتى صباح الديك . . كان واضحاً وكنّا غامضين . . فصدّقناه . . يمنح روحه فرصة الامتداد في الأفاصي والأبعاد، يضحك حتى تدمع عيناه . . فيه غربة البر الواسع وقسوة الرعد . . منحاز للبسيط والعادي والطيب، ويحلم كثيراً، ويا إلهي كم كان حالماً، طاقة روحه تراحم فوران البراكين وسطوة الغد على الأمس . . كان يعلم أن هذا الوطن (لا تجدي فيه الموهبة أمام الامتيازات)، فذهب للغة يشقّ صدقها وصدقها ليرى ويتقرّى ذاته وما حوله . . فكتب (الرؤيا)، وتبصّر المستقبل الذي خاله شاشة تلفاز أسود . . وردّد:

«تبصّر خليلي هل ترى من طعائن  
ترحلن بالعلياء من فوق جرحهم»

وقال لي: تأمل مركزية البيت (تبصّر)، ويا إلهي كما كان ملاحظاً، به دقة ميزان الذهب، وذهب بقميص شبحي وعينين ذابلتين وعقل مشتعل نحو أسئلة «ما بعد الرماد» . . وفي لوحة الصمت المعلقة بين باصرتيه لمحت عبارة تفرقت: «انج من بلد لا روح فيه» . . وغاب ذو العقل البري بين جنائن اللوز، صاحبي: حسين جميل البرغوثي .

\*

في منتصف التسعينيات قصدت مكتبته في دائرة اللغة العربية بجامعة بيرزيت . للسؤال عن موعد مناقشة بحث التخرج عن د. حسين البرغوثي . . وجدته ساهماً متأملاً من نافذة مكتبته، اقترب يا بني وانظر إلى شجرة السرو تلك التي تشق بطن الصخر . . وتأمل قدرة الله وقوة الحياة والإصرار على الوجود، قال . . وذهبتنا في نقاش طويل . .

كان محاضراً في الأدب الشعبي الفلسطيني والفلكلور . . لفت أنظارنا إلى أهمية توثيق وتأصيل ما لدينا من إرث شعبي، منوهاً لضرورة حمايته من النهب والنسيان . . وبنكاته الخفيفة وروحه المرحة كان يحول قاعة الدرس إلى لحظات تشتعل حواراً وتذكراً ووداً . . وأذكر حين سألنا عن الثقافة والحضارة تعريفهما والفرق بينهما، إلى أن جاءنا بتعريفه: «الثقافة هي ما تبقى بعد نسيان كل شيء» وما زال تعريفه حاضراً . . حدثنا عن ملحمة «كفر توت» التي كتبها في أجواء قرينته كفر عين وأجواء كتابتها . . أسفاره وحكاياته . . كان يصبر على المعرفة حتى اللحظة الأخيرة، وقبل مرضه انتهى من تحقيق مخطوطة «رؤية بن العجاج» .

فقدنا أستاذاً محباً ومتواضعاً وقلباً كبيراً . . على روحك الرحمة أيها العزيز: د. عبد اللطيف البرغوثي .

\*

هذا العدد من (القوس) خصص للمسرح عنه وله وفيه . . في محاولة للوقوف على التجربة المسرحية الفلسطينية التي لم تتل حظاً وافراً من الدرس والتوثيق والنقد . . نفعل ذلك وجنازير ودبابات العدو/ النقيض تهرس عظام الصغار والحجارة في مخيم جنين وقصبة نابلس وبيت لحم وطولكرم وقلقيلية ورام الله وغزة وكل غرزة في ثوب وطننا الدامي والدماع . .

نفعل ذلك لنصق في وجه القتلة: (لا لم نمت) . . ونصرّ على المواجهة بالحرف وما اشتق من ناره ولواهبه . . المواجهة باتت اللغة الأجدر أن ننتمي إليها لنُدفع عن أنفسنا الإحباط والركود والملل . .

«إلهي ليسدل شيء فوق المسرح . .

كل الأدوار ارتبكت» .